أزمة فاشودة 1898
واثرها في العلاقات البريطانية الفرنسية

م.د. نغم عبد الهادي مهدي

مدرس التاريخ الحديث والمعاصر

كلية التربية/ الجامعة المستنصرية

ازمة فاشودة 1898 واثرها في العلاقات البريطاني- الفرنسية

م. د. نغم عبد الهادي مهدي

المبحث الاول: موقف بريطانيا من أطماع القوى الأوروبية في السودان:

أثر انطلاق الحملة البريطانية إلى اوغندا عام ١٨٩٠، قام مندوبو شركة شرق أفريقيا البريطانية باستغلال ذلك، من خلال تجنيد الجنود المصريين الذين بقوا في المديرية الاستوائية لصالح الشركة. ومن جانب آخر، سعت ايطاليا الى تعزيز نفوذها في القرن الافريقي، فبعد ان نجحت المساعي الايطالية عن طريق شركة رابيتنو الايطالية للملاحة في منطقة جفيرة بالقرب من آراضي عصب، التي احتلالها منذ عام ١٨٨٥، وبذلك بأنشاء مستعمرة اريتيريا عام ١٨٩٠، الامر الذي دفع الحكومة البريطانية الى إجراء مباحثات مع ايطاليا، إذ تمخضت في الخامس عشر من نيسان ١٨٩١ــ بالتوصل الى توقيع معاهدة وتشاله Treaty of Wuchale، إذ أكدت على حق ايطاليا في ارتيريا واعتبارها مستعمرة ايطالية. وفي مقابل ذلك، تعهدت بعدم إقامة اي مشاريع على نهر عطبرة وهو احد روافد نهر النيل والذي قد يؤثر سلبا على مياه نهر النيل(١).

سرعان ما تفاقمت الخلافات ما بين إيطاليا وأثيوبيا، بشأن مصير المادة السابعة عشر من معاهدة وتشاله، التي نصت على استشارة إيطاليا فيما يتعلق بالشؤون الخارجية الأثيوبية مما أدى إلى نشوب نزاع مسلح بين الطرفين. وقد وقفت كل من فرنسا وروسيا إلى جانب أثيوبيا مما ساعدها في انتصارها في معركة عدوة في آذار ١٨٩٦، وعلى اثر ذلك اعترفت إيطاليا بحقوق مصر الشرعية في السودان ومنها منطقة كسلا، مقابل السماح لها بحماية مناطق نفوذها من المهديين(٢) .

في سياق متصل، كانت فرنسا تفكر جدياً في تحدي بريطانيا وعرقلة مشروعها بإرسال حملة تنطلق من مستعمراتها في أفريقيا الوسطى إلى جنوب بحر الغزال وأعالي

النيل وضمها الى ممتلكاتها، وبذلك سوف تتمكن فرنسا من إزعاج بريطانيا وتهديدها بقطع مياه نهر النيل عن مصر لجعل وادي النيل منطقة نفوذ خاصة بها[٣]. إلا ان ذلك المشروع اصطدم بمعارضة بلجيكا التي عملت على توطيد نفوذها وهددت باستعمال القوة لمنع زحف فرنسا، لذلك عقدت فرنسا معاهدة مع بلجيكا الهدف منها التغلب على عوامل الصراع لتسيير زحفها إلى أعالي النيل، كما عدّلت بموجبها الحدود بين الكونغو الفرنسي وحكومة الكونغو الحرة البلجيكية[٤].

سعت بريطانيا أمام تلك التطورات إلى عدم تمكين أية قوة أوروبية من الوصول لمنابع نهر النيل، لذا حذر سفير بريطانيا في باريس، الحكومة الفرنسية من أرسال تلك الحملة. وعليه اقترح وزير خارجية فرنسا غابرييل هانوتو (Gabriel Hanoteau) [٥] على وزير المستعمرات الفرنسية تيوفل ديلكاسيه Theophile Delcasse[٦]. التأني لمحاولة الوصول إلى تسوية سلمية مع بريطانيا، ولكن المفاوضات فشلت بين الطرفين؛ بسبب تمسك بريطانيا بمبدأ أبعاد الدول الأوروبية عن وادي النيل فاستأنفت الحملة مسيرتها[٧]. وقد مثل رد الحكومة المصرية على النشاط الفرنسي بالسير خلف السياسة البريطانية، ولاسيما ان تلك المسألة استحوذت على اهتمام الصحافة المصرية، ولعل اهم ما جاء في افتتاحياتها "**ان الحكومة المصرية والشعب المصري يتطلعان في إعادة احتلال السودان**" معللة ذلك "**انه في حالة سيطرت أي قوة متحضرة على مياه منابع النيل فأنها في النهاية قد تكون في وضع يمكنها من ممارسة نفوذ دائم على مستقبل ومصير مصر**"[٨].

برزت أيضا الأطماع البلجيكية من خلال أطماع الملك ليبولد(Leopold) في المديريات الجنوبية للسودان، الذي اجتهد كثيراً ومن خلال عقد الاتفاقيات مع ألمانيا وفرنسا وبريطانيا للوصول إلى تلك المناطق[٩]. فقد اتجهت سياسته منذ عام ١٨٩٥،

للتوصل الى تفاهم مع بريطانيا التي زارها ثلاث مرات لتحقيق أطماعه، ففي زيارته الأولى اقترح بان تتنازل مصر له على الأراضي الواقعة جنوب الخرطوم حتى بحيرة نيانزا عن طريق الإيجار، وفي الزيارة الثانية اقترح تسوية الخلافات ما بين بريطانيا وفرنسا، وان تكون بريطانيا صاحبة المبادرة بإعلان حكومتها تاريخاً محدداً للجلاء عن مصر مع تنازل مصر للبيولد عن الأراضي الواقعة جنوب الخرطوم، وفي زيارته الثالثة اكد على اقتراحاته التي سبق وان قدمها في زيارته الأولى مع تسليم الأراضي السودانية بعد خضوعها لبريطانيا ومن ثم تقوم بلجيكا بتجنيد عدد من المقاتلين بهدف ارسالهم لاحتلال ارمينيا، الا ان بريطانيا لم ترفض جميع تلك المقترحات، فحسب بل رفضت حتى مناقشتها(١٠).

أمام الأطماع الأوربية السابقة في السودان وجنوبه، أثارت الدوائر البريطانية مسألة حوض النيل والسودان والتي شملت جانبين هما: القضاء "**الدولة المهدية**" والوصول إلى منابع النيل، وبعد مداولات عديدة ومكثفة استطاعت الحكومة البريطانية إقرار سياسة السيطرة على السودان في آذار ١٨٩٦، من دون استشارة كرومر (cromer) والسلطات العسكرية في القاهرة، وبعد اتخاذ ذلك القرار والتغلب على معارضته، عينت الحكومة البريطانية كتشنر (Kitchener)(١١) قائداً للحملة للسيطرة على دنقلا، وقد استطاع احتلالها فعيلاً في أيلول ١٨٩٦، وكان على الحكومة البريطانية قبل السماح لكتشنر باستئناف الزحف جنوباً توثيق عرى التعاون مع أثيوبيا وعقد اتفاقية مع امبراطورها لضمان حيادها(١٢). وعلى اثر ذلك صدرت التعليمات الى كتشنر بمواصلة زحفه باتجاه الخرطوم، فاستولى على (ابي حمد، بربر، المتمة وعطبرة)(١٣).

في غضون ذلك، كانت فرنسا هي الأخرى تسعى الى توسيع نطاق نفوذها في السودان للضغط على بريطانيا من اجل اعادة فتح ملف المسألة المصرية والتفاوض

عليها، ولتحقيق هذا الغرض كان ينبغي على فرنسا ان تضع يدها على نقطة استراتيجية وهو ما سوف نوضحة في المبحث القادم.

المبحث الثاني : الحملة الفرنسية الى فاشودة وحدوث الازمة

كانت الحكومة الفرنسية في تسعينيات القرن التاسع عشر منخرطة بالكامل في المشاريع الاستعمارية، فعلى الرغم من ان التحالف مع روسيا قد يؤمن فرنسا من هجوم ألماني على أراضيها، فان الاعتراض على تشتيت القوات قد يضعفها، فضلاً عن ذلك فان التحالف الفرنسي– الروسي قد سمح للشريكين بأن يكونا في موقع افضل قياساً ببريطانيا(١٤) .

توجهت سياسة وزارة الشؤون الخارجية الفرنسية في اغتنام فرصة التكالب على قارة أفريقيا لإعادة طرح المسألة المصرية، وذلك بعد ان أعلنت بريطانيا ان احتلالها لمصر سيكون مؤقتاً، إلا ان حملة دنقلة مع عدم ربط الجزء المسترد من السودان بمصر قد اكد نية الحكومة البريطانية بجعل احتلالها لمصر بشكل أبدي(١٥).

كانت القاعدة التي سيطرت على السياسة الفرنسية تمحورت على مبدأ التوسع الاستعماري في أفريقيا على طول خط يبدأ من لوانجو وينتهي على ساحل البحر الأحمر، وبذلك يتقاطع مع الخط الانكليزي المعروف (الكاب– القاهرة) وهي خطة في رأي بعض الساسة الفرنسيين كانت كفيلة بتحقيق نتائج معقولة من وجهة النظر الاستعمارية، والهدف منها وقف تقدم البريطانيين في أعالي النيل(١٦).

عقد كارنر رئيس الجمهورية الرفسية في الخامس من أيار ١٨٩٣، في قصر الاليزيه اجتماعاً حضره ديلكباس وكيل وزير المستعمرات، وقد تحدث الرئيس الفرنسي بأنه يرغب في إعادة فتح ملف المسألة المصرية ولتحقيق هذا الغرض ينبغي ان تقوم

حملة فرنسية لوضع يدها على نقطة معينة من الاراضي المصرية، فاذا بادرت بريطانيا بالشكوى، اجبرتها القوى الاوربية بالتخلي عن وادي النيل، وقد وقع اختيار الرئيس على فاشودة[١٧]، لأسباب ثلاث وهي:

أولاً:- ان فاشودة عاصمة لمديرية مصرية.

ثانياً:- ان فاشودة بمثابة مفتاح مصر بفضل موقعها الجغرافي عند ملتقى السوباط بالنيل.

ثالثاً:- تقع فاشودة على امتداد الممتلكات الفرنسية بحيث انه في سبيل الوصول إليها سهل نسبياً للقوات الفرنسية[١٨].

قامت الحكومة الفرنسية بتكليف مونتي (Monteil) وهو من الضباط المهتمين بعمليات الاستكشافات الجغرافية للقيام برحلات استكشافية تنطلق من الاوبانجي الأعلى في الكونغو، إذ بدأت الرحلة في السادس عشر من تموز ١٨٩٤، إلا ان الرحلة توقفت نتيجة لدخول فرنسا في مفاوضات مع الحكومة البريطانية بشأن ايقاف الرحلات الاستكشافية الى اعالي النيل [١٩].

قررت الحكومة الفرنسية في شباط ١٨٩٦، نتيجة الحاح النقيب مارشان (Marchand) (احد مساعدي مونتي)، تكليفه بقيادة حملة استكشافية جديدة إلى أعالي النيل عن طريق غرب افريقيا، كانت الغاية الرئيسية لها هي ايجاد اتصال مباشر ما بين الكونغو الفرنسية والحبشة، اما الهدف السري لها فكان ايجاد نقطة فرنسية في عالي النيل، تكون بمثابة ورقة تبادل في فرنسا تسمح لها عند الحاجة بالاشتراك في مركز القوة بتسوية المشكلة المصرية والحصول على تنازلات من قبل بريطانيا[٢٠].

وصل مارشان في الثاني والعشرين من تموز ١٨٩٦، الى لوانجو عند ساحل غرب افريقيا برفقة ثمانية ضباط وطبيباً ومترجماً واثنا عشر من ضباط الصف ومئتي

جندي سنغالي وسفينتين صغيرتين، وخلال ذلك لم يكن الرأي العام الفرنسي على علم بما تقوم به الحكومة الفرنسية من جهود في هذا الاتجاه او ما ينفذه مارشان، وقبل ذلك في شهر نيسان ١٨٩٦، بدأت الحكومة البريطانية في القيام بما اسمته بحملة دنلقة (Dongola)، وذلك بأرسال قطعات من الجيش المصري بقيادة ضباط بريطانيين وبأمرة اللواء كتشنر لاحتلال الجزء الشمالي من السودان، ثم عززت هذه القوات المصرية وأرسلت بضعة كتائب انكليزية للمشاركة في هذه الحملة قبل دخولها إلى ام درمان والخرطوم(٢١)

دخلت بعثة مارشان، مديرية بحر الغزال في نهاية شهر آذار ١٨٩٨، وبذلك أخضعت للقوات الفرنسية التي قسمتها إلى ثلاث دوائر يديرها ضباط فرنسيون، وفي الخامس من حزيران ١٨٩٨، تابعت بعثة مارشان طريقها باتجاه فاشودة بعد ان أقامت لمدة في المحطة التي أقامتها في كوتشوك ، ووصلت البعثة الى فاشودة في العاشر من تموز ١٨٩٨، التي لم يلاق فيها الفرنسيون ترحيباً من الوطنيين السودانيين، فقد حاول المهديون مقاومة الفرنسيين وذلك بارسال عدة قوارب تحمل مقاتلين من المهديين بقيادة الامير سعيد حضير، لكن الفرنسيين احرزوا نصراً على الامير وقواته في الخامس والعشرين من آب ١٨٩٨. وحاول الامير سعيد حضير شن هجومٍ بري على فاشودة في التاسع والعشرين من آب ١٨٩٨، الا ان عودة الزورق الحربي الفرنسي الذي ارسله مارشان للاستطلاع في نهر السوباط، أدى إلى إنقاذ البعثة الفرنسية في فاشودة من المهديين، وعدول الأمير المهدي عن مهاجمة فاشودة بعد رؤية الزورق الحربي الفرنسي(٢٢).

على اثر انتصار كتشنر على المهديين في معركة ام درمان في الثالث من أيلول ١٨٩٨، وبعد دخوله مدينة الخرطوم، علم بوجود بعثة مارشان في فاشودة، فأسرع

بالذهاب إلى هناك بالسفن النهرية على رأس قوات مصرية مزودة باسلحة حديثة، إذا ما قورنت بما كان بحوزة مارشان من أسلحة ومعدات حربية، وذلك من اجل إعادة منطقة فاشودة الى الحكم المصري ومن ثم السيطرة الانكليزية[٢٣] . احتل كتشنر منطقة الدنك في الخامس عشر من أيلول ١٨٩٨، التي تبعد حوالي ٤٥٠ كم الى الجنوب من الخرطوم، وادى الى صدام بسيط مع المهديين الذي كانوا يقودهم الامير سعيد الى اسرة واستيلاء كتشنر على الباخرة السودانية والاحد عشر قارباً نهريا التي كان الامير يقودها.

أصبحت القوات البريطانية– المصرية في الثامن من أيلول ١٨٩٨، على بعد حوالي ٢٠ كم من فاشودة[٢٤]. في غضون ذلك رفع الحضر الإعلامي الذي كان مفروضاً من قبل الحكومة الفرنسية على أخبار بعثة مارشان ونشاطها، وقد ثار الرأي العام الفرنسي بعد اطلاعه على الأنباء التي تفيد بوجود حملة فرنسية بقيادة مارشان وأخرى انكليزية بقيادة كتشنر والتي تفوق بكثير بعثة مارشان عدة وعدداً والتي لم تأخذ طابع الحملة العسكرية، لذا علقت الصحافة الفرنسية والرأي العام الفرنسي الآمال على وزير الخارجية الفرنسي الجديد ديلكاسيه الذي حل محل هانوتو في الحكومة الفرنسية الجديدة التي شكلها بريسون (Brisson) في الثامن والعشرين حزيران ١٨٩٨، بأن يمارس سياسة ذكية وحازمة وان يحسن دعم بعثة مارشان في فاشودة [٢٥] .

وصل كتشنر بقواته إلى فاشودة في التاسع عشر من أيلول ١٨٩٨، وبعد اتصالات بين الطرفين حصلت مقابلة ودية ما بين كتشنر ومارشان اللذان حاولا تجنب اي اصطدام بينهما، وقد ذكر كتشنر في اللقاء بان وجود القوات الفرنسية في أعالي النيل وفي فاشودة يعد اعتداء صريحاً على حقوق مصر، وانه طبقاً للأوامر الصادرة إليه بانه عليه الاحتجاج وبشدة على احتلال الفرنسيين لفاشودة، ورفع العلم الفرنسي في ممتلكات خديوي مصر، لذا فانه تلقى أوامر من حكومته بإعادة السلطة المصرية إلى مديرية فاشودة[٢٦].

مقابل ما سبق، أجاب مارشان بأنه جندي لا يملك سوى إطاعة الأوامر، وان تعليمات حكومته تقضي باحتلال بحر الغزال، ومديرية فاشودة صريحة ولا تقبل التأويل، وأنه اتم تنفيذها وبات لزاماً عليه ان ينتظر أوامر جديدة حول أعماله وتحركاته المقبلة من فرنسا، وذكر انه بالنسبة لهذه الظروف يشعر بالتأكيد ان حكومته لن تتأخر في أرسال الأوامر بالانسحاب، وانتهى الطرفان بالاتفاق على رفع العلم المصر على بعد ٥٠٠ ياردة من الطرف الجنوبي للقلعة المصرية ، وهذا معناه وضع المعسكر الانكليزي على طريق اتصال البعثة الفرنسية بالمناطق الداخلية ، مما ينتج عنه وضع بعثة مارشان تحت رحمة الكتيبة البريطانية التي تركها كتشنر في الموقع بقيادة رائد بريطاني، وفي نهاية الاجتماع الذي عقد على ظهر سفينة القيادة لكتشنر قرر الاثنان الرجوع الى حكومتيهما حول الموضوع[٢٧]. ويبدو ان كل من كتشنر ومارشان لم يقدما على اتخاذ اي خطوة من شأنها توسيع نطاق الازمة وترك المجال للقنوات الدبلوماسية لتولي المهمة كما سنلخص ذلك في المبحث القادم.

المبحث الثالث : الدبلوماسية البريطانية – الفرنسية ودورها في انهاء الازمة

لم تنشر اخبار الاجتماع الذي دار بين مارشان وكيتشنر، الا بعد ان نشرت صحيفة التايمز البريطانية وقائعه في السابع والعشرين من ايلول ١٨٩٨، وفي اليوم التالي استدعى وزير الخارجية الفرنسي ديلكاسيه، السفير البريطاني في باريس ادمون مونسن (E.Monson) واخبره بأن مارشان غير مخول بمعالجة المشاكل السياسية التي لا يمكن تسويتها، إلا بين الدبلوماسيين، ورفض الطلب البريطاني الملّح بسحب بعثة مارشان فوراً من فاشودة، بحجة انتظاره وصول تقرير مارشان قبل البدء بالمفاوضات، وانتقد القائم بالأعمال الفرنسية في لندن جيوفري(Geoffray) الصحافة البريطانية التي حاولت إيهام

الرأي العام البريطاني بان استقرار الفرنسيين في فاشودة هو اعتداء على مصالح مصر وبريطانيا في منطقة أعالي النيل(٢٨).

أمام هذهِ المحاولات بالتفاوض بشأن انسحاب بعثة مارشان جاء الرّد البريطاني حازماً بانه بعد العمليات الحربية التي تمت بقيادة كتشنر في أعالي النيل فإن كل الأراضي التي كانت تابعة للمهدي محمد احمد قد انتقلت ملكيتها إلى الحكومتين المصرية والانكليزية بمقتضى حق الفتح، وان الحكومة البريطانية ترى ان هذا الحق لا يقبل المناقشة، واعقب ذلك دخول بريطانيا وفرنسا في مناقشات قانونية حول حق الفتح مع تقديم كل منهما الحجج التي تؤيد ذلك(٢٩) .

وصل تقرير مارشان في السادس والعشرين من تشرين الأول ١٨٩٨، إلى باريس، إلا ان التقرير لم يتطرق في طياته إلى الاجتماع الذي تم بينه وبين كيشتنر ، كما لم يحمل التقرير اي ارضاء للمطامح البريطانية (٣٠) .

وفي هذه الاثناء وعلى الرغم من تصاعد حدة التوتر حول قضية انسحاب بعثة مارشان من فاشودة والاستعدادات الحربية والبحرية لكلتا الدولتين، إلا ان الدبلوماسية أدت دوراً هاماً في تخفيف حدة الازمة، وذلك لان دلكاسيه كان مستعداً ومنذ بداية شهر تشرين الأول لتقديم تنازلات من اجل ايجاد تسوية نهائية للمشكلة، لكنه لم يستطع إعلان ذلك تجنباً لأثارة الرأي العام الفرنسي، ولاسيما تقديم بعض التعويضات المحتملة لبريطانيا، وقد اقترح في نهاية الشهر نفسه على الحكومة الفرنسية بتشكيل لجنة مشتركة فرنسية – بريطانية من اجل تحديد مناطق النفوذ لكلا القوتين، وقد نصح دوكورسيل السفير الفرنسي في لندن، ديلكاسيه على عدم التعنت لاعتقاده بان فاشودة ليس لها اي قيمة استراتيجية تخدم المصالح الفرنسية في افريقيا، وان الانسحاب منها حسب رأي دوكورسيل قد يزيل عامل التوتر والغضب الذي خيم على الأوساط السياسية البريطانية، ومن ثم لن يكون

هناك اي عائق أمام بدئ المفاوضات بين الجانبين من اجل تحديد مناطق النفوذ لكل منهما في منطقة أعالي النيل(٣١).

الحق، لم تكن الأوضاع السياسية الداخلية في فرنسا في وضع يسمح لها بتصعيد الازمة، ولاسيما ان قضية دريفوس (Dreyfus) (٣٢) كانت ما تزال عالقة في أذهان الرأي العام الفرنسي. فضلاً عن ذلك، فان الاستعدادات البريطانية كانت تجري على قدم وساق منذ بدء الازمة، ولاسيما بعد تحشد السفن الحربية البريطانية في بحر المانش استعداداً لمحاصرة ميناء بريست الفرنسي، كما نشرت بعض قواتها عند مضيق جبل طارق لمنع الأسطول الفرنسي من الخروج منه، وعززت قواتها في جزيرة مالطة وجبل طارق استعداداً لحصار ميناء طولون الفرنسي، وأرسلت قوةٍ إلى الإسكندرية لحراسة قناة السويس في الوقت الذي كانت فيه الاستعدادات الفرنسية غير كافية لخوض غمار حرب محتملة مع بريطانيا(٣٣).

يبدو حاول دلكاسيه في بداية الأمر كسب الوقت لتتمكن فرنسا من إتمام استعداداتها البحرية والسعي لتأييد روسيا في موقفها، إلا ان روسيا لم تقدم على عقد تحالف مع فرنسا وتأييد موقفها نظراً لسوء الأوضاع السياسية الداخلية التي كانت تمر بها فرنسا ووجود بعض العناصر التي كانت تراها روسيا متطرفة داخل الحكومة الفرنسية وفي مقدمة تلك العناصر (جوريه، كليمنصو ودانك) الذين كانوا يجهرون علانية بعدائهم لروسيا.

على الرغم من الاستعدادات العسكرية البريطانية وتصلب موقفها السياسي تجاه فرنسا وقرع طبول الحرب، لكنها لم تهمل امكانية استخدام الطرائق الدبلوماسية لتسوية الازمة، ولاسيما بعد المحاولات الفرنسية لكسب تأييد ورسيا التي رأتها بريطانيا قد رحبت بالنزاع البريطاني– الفرنسي من دون المساهمة فيه، فضلاً عن ذلك فان الموقف الألماني من الأزمة وعدم ورود اشارات تدل على انحياز الماني لاحد طرفي النزاع، اثار مخاوف

البلدين في آن واحد، ولاسيما بعد ان شعر البلدين بخطورة التقدم الملحوظ في المجال العسكري الالماني وفي مقدمته التطور الذي طرأ على القوة البحرية الالمانية، الذي ثبتت فيما بعد بصدور القانون البحري الالماني الثاني عام ١٩٠٠، والذي ادى الى مضاعفة حجم الاسطول البحري للرايخ الثاني، الامر الذي أثار مخاوف بريطانيا بصورة كبيرة[٣٤].

فضلاً عن ذلك، رأت فرنسا ان تلبية المساعدة الالمانية في حال خوض حرباً ضد بريطانيا تكون مستبعدة حتى وان وافقت المانيا على منح الالزاس واللورين حكماً ذاتياً، فان المانيا ستوقف تقديم الدعم حتى بدون هذه الشروط ، اذ لم ترغب المانيا باثارة بريطانيا في وقت احتاجت فيه المانيا الى خفة في حركتها الدبلوماسية لشق طريقها بين بريطانيا وروسيا في الشرق الاقصى[٣٥]، الامر الذي يدل على ان نشوب حرب بين الطرفين سوف يخدم المصالح الروسية والالمانية بدرجة كبيرة على حساب المصالح البريطانية والفرنسية.

في مطلع تشرين الثاني ١٨٩٨ سقطت الوزارة الفرنسية التي كانت برئاسة بريسون وتشكلت وزارة جديدة برئاسة دوبوي (Dupuy) التي بقي فيها دلكاسيه وزيراً للخارجية، وقد صرحت هذه الحكومة في الثالث من تشرين الثاني ١٨٩٨، بأنها مصممة على عدم بقاء مارشان في فاشدوة، وفي اليوم نفسه اصدر دلكاسيه أمراً لمارشان بالانسحاب من فاشودة، وفي الحادي عشر من كانون الأول ١٨٩٨، انزل العلم الفرنسي نهائياً وتم جلاء القوات الفرنسية من فاشودة[٣٦].

وبذلك نشأ مناخ الانفراج في الأسابيع الأولى من عام ١٨٩٩، إذ بدأ الجانبان البريطاني والفرنسي بمباحثات لرسم خارطة المصالح للإمبراطوريتين في أفريقيا من زوايا تقسيم المياه بين نهرا الكونغو والنيل، ثم عملت الحكومة البريطانية على تصفية

النزاعات الاستعمارية مع فرنسا، إذ بدأت المفاوضات معها في تموز ١٩٠٣، في ظل سياسة توطيد إمبراطوري تبديها الحكومة البريطانية التي كانت برئاسة بلفور (Balfour) حتى وقع الجانبان البريطاني والفرنسي على الاتفاق الودي في السابع من نيسان ١٩٠٤[٣٧].

الخاتمة

تبين لنا من خلال دراسة " ازمة فاشودة ١٨٩٨ واثرها في العلاقات البريطانية – الفرنسية" جملة من النتائج والاستنتاجات واهمها :

- لم تتوقع فرنسا ان محاولة استفزاز بريطانيا عبر احتلال فاشودة سوف تثيرها الى درجة تجعل بريطانيا تلجأ الى التصعيد وخوض حرب ضدها .
- كان الاجدر على الحكومة الفرنسية اجراء اصلاحات سياسية على الستوى الداخلي ولاسيما كسب ود الرأي العام الفرنسي بعد الازمة التي عصفت بالبلاد بفعل قضية دريفوس ، فضلاً عن اتخاذ خطوات دبلوماسية او التنسيق مع روسيا والمانيا قبل التوجه الى فاشودة ، لكي تكون السيطرة عليها قد حضيت بتأييد قوتين استعماريتين قبل مزاحمة النفوذ الاستعماري البريطاني ، عوض طلب تأييد موقفها بعد قيام الازمة .
- لم تكن فرنسا على استعداد تام لتحمل اثار احتلال منطقة فاشودة التي تمس مصالح بريطانيا في السودان ، ولاسيما استعداداتها العسكرية مقارنة بالجانب البريطاني .
- على الرغم من ان احتلال فاشودة يمثل تهديداً مباشراً لمصالح بريطانيا الاستعمارية في السودان ، غير ان كلا الطرفين توصلا الى قناعة مفادها ان الحرب سيكون لها اثار جسمية تحلق بهما ، وفي مقدمتهما استنزاف لقوتيهما

العسكرية البحرية ، في الوقت الذي اخذت القوة البحرية الالمانية تزداد في قوتها وترسانتها .

- آمنت الحكومة الفرنسية بضررة استعمال الطرائق الدبلوماسية لحل الازمة ، ولاسيما بعد ان لاحظت ان الحكومة البريطاني مصممة على ان تعالج الازمة على اسس عسكرية اذا ما اقتضت الضرورة .
- اسائت ازمة فاشودة بسمعة ومكانة فرنسا الدولية ، لكنها فتحت البـــاب لاســـتعمال الطرائق الدبلوماسية لتسوية الخلافات مع بريطانيا ولاسيما عقد الاتفاق الودي عام ١٩٠٤ .

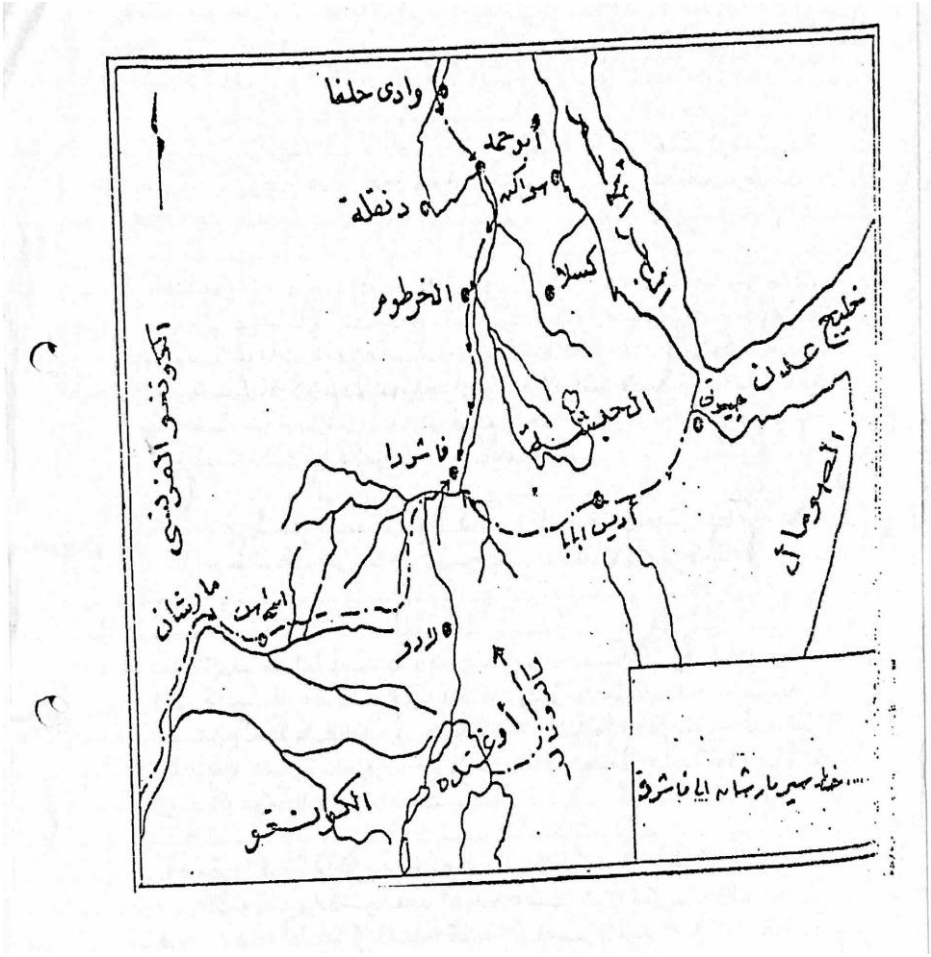

قائمة المصادر:

أولاً : الكتب العربية والمعربة :

- أ.ج . ب تايلور، الصراع على سيادة اوروبا، ترجمة فاضل مكي، المركز العربي، بيروت، ٢٠٠٩.
- حامد صالح تركي، ارتيريا الحديثة والتعدين المصري، دار كنوز، بيروت، ١٩٧٩ .
- سيد محمد رجب الحراز، ارتيريا الحديثة ١٥٥٧– ١٩٤١، المنظمة العربية للترجمة والثقافة والعلوم ، بيروت ، ١٩٩٥ .
- شوقي عطا الله الجمل، تاريخ كشف أفريقيا واستعمارها، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧١ .
- غالب حامد نجم، تطور الحركة الوطنية في السودان ١٩٢٤– ١٩٥٦، منشورات مكتبة جرير، ط١، ١٩٨١ .
- لوتسكي ، تاريخ الاقطار العربية المعاصرة ، دار التقدم ، ١٩٧٤ .
- محمد سعيد القدال، تاريخ السودان الحديث ١٨٢٥– ١٩٥٥، الخرطوم، ١٩٩٢ .
- محمد صبري، تاريخ مصر من محمد علي الى العصر الحديث، مكتبة مدبولي، القاهرة ، ١٩٩١.
- نعوم شقير، تاريخ السودان القديم وجغرافيته، ج٣، دار الفكر، القاهرة، ١٩٦٣.
- ه. ا. ل فيشر تاريخ اوروبا في العصر الحديث ١٨٧٩– ١٩٥٠، دار المعارف المصرية، القاهرة، ١٩٧٦ .
- هنري لورنس، الازمات الشرقية المسألة الشرقية والدول الكبرى (١٧٦٨ – ١٩١٤) ترجمة بشير السباعي، المركز القومي للترجمة ، القاهرة ، ٢٠١٨ .

ثانياً : الكتب الاجنبية :

- Ghaham H. Start , Frank Foreign policy from fashoda to serajevo the century co. New York , 1921

- Philipe chasigne ,Anglo – Franch Relations 1898 – 1998 , plagave , UK , 2002.

ثالثا: الرسائل :

- لمياء مالك عبد الكريم ، اثر السياسة البريطانية في مشكلة جنوب السودان ١٨٨١ – ١٩٣٦ ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الاداب جامعة بغداد ، ٢٠١٦ .

رابعاً: البحوث :

- عبد الكافي طعون ، العلاقات الانكليزية الفرنسية وقضية فاشودة ١٨٩٨ – ١٨٩٩ مجلة دراسات تاريخية العدد (٥٩–٦٠) ، جامعة دمشق ، ١٩٩٧ .
- علي ابراهيم عبد ، ازمة فاشودة ١٨٩٨ ، التاريخ المصرية مجلة ، (د.م) ، الخرطوم ، ١٩٩٢ .
- عمر سالم عمر بايكور ، حملة مارشان وازمة فاشوة ١٨٩٨ ، مجلة جامعة ام القرى ، العدد ١٨ ، ١٩٩٨ .
- يونان لبيب رزق ، فاشودة الصغيرة ١٨٩٩– ١٩٠٦ ، التاريخ المصرية مجلة ، المجلد ١٥ ، القاهرة ، ١٩٩١ .

خامساً الموسوعات : باللغة الانكليزية :

- Encyclopedia Britannica 2012 , CD.
- Encyclopedia Britannica 2009 , CD.

الهوامش:

(1) Philipe chasigne ,Anglo – Franch Relations 1898 – 1998 , plagave , UK , 2002, p.12 .

(2) Ibid, p17 .

(٣) سيد محمد رجب الحراز، ارتيريا الحديثة ١٥٥٧– ١٩٤١، المنظمة العربية للترجمة والثقافة والعلوم، معهد البحوث والدراسات العربية، ص ٧٨ .

(٤) حامد صالح تركي، ارتيريا والتحديث المصري، دار الكنوز، بيروت، ١٩٧٩، ص ١٤٣.

(٥)

(٦) **تيوفل ديلكاسيه Theophile Delcasse**: سياسي ورجل دولة فرنسي، ولد في باميه بفرنسا عام ١٨٥٢، تدرج في مناصب سياسية عدّة، ومنها نائب سكرتير المستعمرات عام ١٨٩٣، ثم وزير المستعمرات في العام التالي، وعمل على تطوير المشروع الاستعماري الفرنسي، كما أولى اهتماماً خاصاً بالبحرية الفرنسية، ومنافسة الأسطول البريطاني، وفي عام ١٨٩٨ تسنم منصب وزير الخارجية، وكان معروفاً بميله نحو روسيا وعدائه لألمانيا، فوصفه امبراطور ألمانيا بأنه أخطر رجل في فرنسا على ألمانيا، وفي عام ١٩٠٥ أُجبر على الاستقالة بسبب الضغوط الألمانية، ثم عمل وزيراً للبحرية عام ١٩١١، وسفيراً في سانت بطرس بيرغ عام ١٩١٣، ووزيراً للخارجية عام ١٩١٤، واستقال بسبب سوء ظروفه الصحية عام ١٩١٥، توفي في مدينة نيس بفرنسا عام ١٩٢٣.

Encyclopaedia Britannica, Vol. 7, (New york, 1911), P. 953؛ Encyclopaedia Britannica, Vol. 30, (New York, 1911), P. 816؛ Stuart Michael Persell, The French Colonial Lobby 1889-1938, (California, 1983), P. 192.

(٧) لمياء مالك عبد الكريم، اثر السياسة البريطانية في مشكلة جنوب السودان١٨٨١– ١٩٣٦، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب جامعة بغداد، ٢٠١٦، ص٧٥.

(٨) المصدر نفسه.

(٩) محمد سعيد القدال، تاريخ السودان الحديث ١٨٢٥– ١٩٥٥ ، الخرطوم ،١٩٩٢ ، ص ١٣٢.

(١٠) لمياء مالك عبد الكريم ، المصدر السابق ، ص ٧٦ .

(١١) كتشنر ولد عام ١٨٥٠ في ايرلندا وبدأ ضابطاً ومهندساً في القوات الملكية البريطانية ثم عين حاكماً على المستعمرات البريطانية في منطقة البحر الاحمر في عام ١٨٨٦ ، ومن ثم اصبح القائد الاعلى للقوات المسلحة في الجيش المصري عام ١٨٩٢ ، قاد كيشنر حملة الغزو الثنائي البريطاني – المصري على السودان عام ١٨٩٨ ، وعند اندلاع الحرب العالمية الاولى استدعي

الى بريطانيا وقد توفي اثر تحطيم وغرق سفينة كانت تقله الى روسيا بواسطة لغم الماني في (٥ حزيران ١٩١٦) للمزيد من التفاصيل انظر : Encyclopadia Britanica ,2012 , ID

(١٢) لوتسكي ، تاريخ الاقطار العربية الحديث ، دار التقدم ، ١٩٧٤ ، ص ٣٠٩ .

(١٣) غالب حامد نجم ، تطور الحركة الوطنية في السودان ١٩٢٤ – ١٩٥٦ منشورات مكتبة جرير ، ط١ ، ١٩٨١ ، ص ٣٤ .

(١٤) عبد الكافي صطفوق، العلاقات الانكليزية الفرنسية وقضية فاشودة ١٨٩٨ – ١٨٩٩، مجلة دراسات تاريخية، العدد (٥٩-٦٠) ، جامعة دمشق ، ١٩٩٧، ص ١٣٣ .

(١٥) علي ابراهيم عبد، ازمة فاشودة ١٨٩٨، التاريخ المصري (مجلة) ، د.م ، الخرطوم ، ١٩٩٢ ، ص١٣٣.

(١٦) عمر سالم عمر بايكور، حملة مارشان وازمة فاشودة ١٨٩٨ مجلة جامعة ام الرى ، العدد ١٨، ١٩٩٨، ص ٢٥٣.

(١٧) توفيق المديني، تاريخ الصراعات السياسية في السودان والصومال الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، ٢٠١٢، ص ٣٣ .

(١٨) علي ابراهيم عبد، المصدر السابق، ص ١٣٤ .

(١٩) شوقي عطا الله الجمل، تاريخ كشف أفريقيا واستعمارها، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧١، ص ٥١٣.

(٢٠) يونان لبيب رزق، فاشودة الصغيرة ١٨٩٩– ١٩٠٦، التاريخ المصرية مجلة، المجلد ١٥، القاهرة، ١٩٦٩، ص١٦٨ .

(٢١) محمد صبري، تاريخ مصر من محمد علي الى العصر الحديث، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩١، ص٢٢٥.

(٢٢) نعوم شقير، تاريخ السودان القديم وجغرافيته، ج٣، الفكر، القاهرة، ١٩٦٣، ص ٦٦٥.

(٢٣) المصدر نفسه، ص ٦٦٦,

(٢٤) هـــ. أ. ل. فيشر، تاريخ أوروبا في العصر الحديث ١٧٨٩– ١٩٥٠، دار المعارف المصرية، ١٩٧٦، ص ٤١٧.

(٢٥) عمر سالم باكور، المصدر السابق، ص ٢٥٥.

(٢٦) علي ابراهيم عبد، المصدر السابق، ص ٢٥٨.

(27) Ghaham H. Start , Frank Foreign policy from fashoda to serajevo the century co. New York , 1921 , p41

(٢٨) ا. ج . ي تايلور، الصراع على سيادة أوروبا ترجمة فاضل مكثر، المركز الثقافي العربي، بيروت، ٢٠٠٩ ، ص ٥٢٣.

(٢٩) يونان لبيب رز، المصدر السابق، ص ١٧٣.

(٣٠) علي ابراهيم عبد الله ، المصدر السابق ، ص ١٣٨ .

(٣١) عمر سالم بايكور ، المصدر السابق ، ص ٢٥٩ .

(٣٢) المصدر نفسه .

(٣٣) محمد سعيد القدال ، المصدر السابق ، ص ١٣٧ .

(٣٤) هنري لورنس ، الازمات الشرقية المسألة الشرقية وال..... الكبرى (١٧٦٨ – ١٩١٤) ترجمة بشير السباعي ، المركز القومي للترجمة ، القاهرة ، ٢٠١٨، ص ٢١٩ .

(٣٥) ا.ج. ب تايلور ، المصدر السابق ، ص ١٣٩ .

(٣٦) علي ابراهيم عبد ، المصدر السابق ، ص ١٣٩ .

(٣٧) عمر سالم بايكور ، المصدر السابق ، ص٢٦١ .